من كل الأخطاء العلمية، وأما نصوص الأحاديث النبوية المنسوبة إلى محمد ﷺ فى تلك الأمور الدنيوية التى لا وحى فيها من الله ، حتى وإن صحت نسبتها إلى محمد ﷺ نفسه أو لم تصح كما هو ثابت بشأن كثير من هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمدسوسة فهى كلام بشر وقد يخطئ البشر ، وقد يصيب البشر فيما قالوه ، وذلك عملا بقول محمد ﷺ نفسه كما سبق لنا أن أشرنا إليه أكثر من مرة . وبناء على ذلك يصبح التمييز على هذا الأساس بين نصوص القرآن الكريم ونصوص الأحاديث المنسوبة إلى محمد ﷺ تمييزا ضروريا ، وهذا التمييز فيه قوة للقرآن ، وتأكيد على مصداقيته ، وتدليلا على أنه وحى إلهى صادق لا شك ولا ريب فيه، كما أن فيه قوة ودليل على صدق محمد ﷺ نفسه حيث إنه لم يخلط كلامه هو شخصيا بكلام الله ، ولم يزعم محمد ﷺ لكلامه هو شخصيا كبشر أى قداسة ، ولم يزعم محمد ﷺ أن كلامه هو شخصيا حتى لو صحت نسبته إليه منزه عن الخطأ فى أمور الدنيا وموضوعات الكلام فى شئون الدنيا مما لا علاقة له بالعقيدة أو الشريعة ، وذلك مصداقا لقول محمد ﷺ بنفسه : **«فإذا أتيتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بَشَرٌ»**

النتائج العامة

General Conclusions

فى هذا المقام من نهاية هذه الدراسة تظهر لنا حقيقة هامة وتبرز أمام أنظارنا بوضوح تام، وتتمثل هذه الحقيقة الهامة فى أن الرأى السائد فى الغرب ، وهو الرأى الموجود مُسبَقًا فى الأذهان قبل أى دراسة فيما يتعلق بنصوص الكتب المقدَّسة Holy Scriptures لا يكاد يكون رأيًا صحيحا يتسق مع الحقائق . ولقد رأينا فى هذه الدراسة الظروف وزمان وطرائق صياغة وجَمْع وكتابة موضوعات العهد القديم The old Testament والأناجيل The Gospels والقرآن الكريم ، ولما كانت الظروف الملازمة لبدء كتابة كل من هذه الكتب السماوية الثلاثة قد اختلفت اختلافا كبيرًا فَقَدْ نَتَجَتْ عن ذلك نتائج بالغة الأهمية فيما يتعلق بمصداقية النصوص authenticity of the texts وفيما يتعلق أيضا ببعض جوانب مضمونها certain aspects of their contents .

إن العهد القديم (التوراة) يتكون من حَشْد من الكتابات التى صاغها أفراد من البشر مَثَلُهُمْ مَثَلُ الأفراد الذين يصوغون أىَّ كتابات أدبية وِفْقًا لقُدْرَاتهم على الصياغة والإنشاء اللغوى والكتابة فى شتى الموضوعات الأدبية literary works وذلك على مدار حوالى تسعمائة سنة . إن أجزاء وأسفارَ العهد القديم تشْبِهُ قطَعًا من أحجار الفسيفساء كثيرا ما قام البشر على توالى القرون بالتغيير فيها وتبديلها It forms a highly disparate mosaic whose pieces have in course of centuries

been changed by man [1] ولقد أضيفَتْ بَعْضُ الأجزاء إلى أجزاء كانت موجودة من قبل لدرجة أنه أصبح من الصعب فى بعض الأحيان أن نعرف من أين جاءت هذه الأجزاء أصْلاً وابتداءً .

ولقد كان الهدف من صياغة الأناجيل صياغة كتابية هو أن يعرف الناس من خلال أقوال وأفعال المسيح التعاليم Teachings التى كان يرغب المسيح فى أن يتركها للناس لإكمال رسالته ، ولسوء الحظ لم يكن مؤلفو الأناجيل شهود عيان للمعلومات التى كتبوها وقاموا بتسجيلها كتابةً .

unfortunately , the authors of the Gospels were not eyewitnesses of the data they recorded

لقد كانوا ببساطة ووضوح مجرد متحدثين رسميين Spokesmen يعبرون عن معلومات كانت مودعة فى ثنايا وفى غمار التراث الشفهى للجماعات اليهودية/ المسيحية [2] Judeo-Christian Communities بشأن حياة المسيح بوجه عام كما استقرت المعلومات عنها وتم تناقلها وتداولُها فى ثنايا التراث الشفهى أو فى ثنايا بعض النصوص المكتوبة التى لم تعد موجودة الآن إذ هى مفقودة oral traditions or writings which no longer exist today ...

وهو التراث الذى يشكل فى رواياته الشفهية أو نصوصه المكتوبة المفقودة الآن مرحلةً وسيطة in-termediate stage بين التراث الشفهى والنصوص الموجودة لدينا الآن بالعهد الجديد .

هكذا يلزم أن ننظر اليوم إلى تلك النصوص اليهودية/ المسيحية ، ولو شئنا أن نكون موضوعيين ملتزمين بالاعتراف بالحقائق وحدها فمن الضرورى أن نتخلى عن محاولات التفسير والتبرير الكلاسيكية التى تحاول أن ترقى بهذه النصوص إلى مرتبة الوحى الإلهى باعتبار أنها كلام الله وحده لم يخالطه كلام بشر .

ولقد كانت النتيجة الحتمية لتعدد المصادر فى أناجيل العهد الجديد هى وجود كثير من التناقض التى أعطينا أمثلة عديدة لها . ونظرا إلى أن مؤلفى الأناجيل وكتابها كانت لديهم ميول إلى تفخيم وتضخيم بعض الصفات والسمات فى شخص المسيح كما كانت لدى كُتّاب ومؤلفى الأدب الملحمى والقصص الشعبى فى العصور الوسطى ميول إلى تضخيم أدوار وصفات وسجايا أبطال الملاحم والقصص الشعبية ، فلقد نتج عن ذلك أن وجدنا الحدث الواحد تتم الحكاية عنه ووصفه بشكل خاص مختلف عند كل راوٍ لهذا الحدث أو ذاك من الأحداث الهامة فى حياة المسيح ، وفى النهاية نجد أنه من الطبيعى أن تثار الشكوك فى صحة هذه الروايات المختلفة عن

---

(١) نضع النص الإنجليزى لبعض الأحكام الهامة التى يصدرها المؤلف على نصوص العهد القديم أو العهد الجديد حتى لا يظن أحد أننا نبالغ فى الترجمة أو نقل المعنى إلى اللغة العربية . (المترجم) .

(٢) سبق أن أشرنا إلى أن المقصود بالجماعات «اليهودية المسيحية» باعتبار أنها جماعات اليهود الذين اعتنقوا توجيهات المسيح عليه السلام ، وهى التوجيهات المتعلقة بإصلاح الديانة اليهودية بحيث تهتم بجوهر الشريعة اليهودية ولاتكتفى بالاهتمام بالمظهر . ومن الواضح أن أفراد هذه الجماعات كانوا يعتبرون أنفسهم يهوداً لم ينخلعوا من الديانة اليهودية، ولكنهم يؤمنون باليهودية وفقا لتعديلات المسيح وتعاليمه التى من شأنها إصلاح الديانة اليهودية مما أصابها من أخطاء وجمود . (المترجم) .

الحدث الواحد من أحداث حياة المسيح فى الأناجيل المتعددة . كما أن المعلومات التى تضمنتها هذه الأناجيل فى بعض الأحيان لم تستطع أن تثبت للنقد فى ضوء المعلومات والحقائق التى توصلت إليها العلوم الحديثة ، مما يدعو إلى التحفظ بشأن قبول بعض المعلومات التى تتضمنها الأناجيل .

إن التناقضات والمعلومات الخاطئة من وجهة النظر العلمية فى العصر الحديث فى نصوص الأناجيل قد غدت واضحة تمام الوضوح ويستحيل الدفاع عنها دفاعا مجديا مقبولا . ويصاب المسيحيون الذين يكتشفون ذلك بكثير من الدهشة فى العصر الحديث ، لقد كان الجهد كبيرا ومستمرا طوال قرون من جانب رجال الكنيسة لإخفاء هذه التناقضات والمعلومات الخاطئة التى تتضمنها نصوص الأناجيل مستخدمين فى ذلك بهلوانيات جدلية خادعة مسرفة فى الخيال وفى امتداح الأخطاء بهدف التمويه والإخفاء . ولقد أعطينا على صفحات هذا الكتاب أمثلة لذلك فيما يتعلق بالتعارض الموجود فى سلسلة نسب المسيح بين رواية إنجيل متّى ورواية إنجيل لوقا . ولقد جذب إنجيل يوحنا الانتباه بوجه خاص لوجود كثير من أوجه الاختلاف فى الأفكار بينه وبين الأناجيل الثلاثة السابقة له فى الظهور وخصوصا فى مجال تأسيس تناول القربان المقدس ، أو تناول الخبز والنبيذ باعتبار أن الخبز هو جسد المسيح والنبيذ هو دم المسيح ، وهو ما يعرف بالأفخارستيا ، وهو غير موجود إلا فى إنجيل يوحنا .

لكننا نجد لنصوص القرآن الكريم شأنا آخر وطريقة أخرى فى التدوين وطبيعة أخرى فى محتوى النصوص ومضمونها ومدى اتساقها التام وانعدام تناقضها مع حقائق العلم الحديث ، لقد امتد بالفعل تنزيل القرآن الكريم مُنجَّماً ينزل الله عددا قليلا من الآيات ثم عددا آخر على امتداد حوالى ثلاثة وعشرين عاما ، وهى مدة كافية لاستيعاب وحفظ أى قدر من نصوص القرآن الكريم كل نص فى حينه أوّلاً بأوّل حتى تم حفظ نصوص القرآن الكريم كاملة فى ذاكرة جمٍّ غفير من المسلمين الأوائل فضلا عن تدوين وتسجيل أى عدد من آيات القرآن الكريم كتابة فى حياة النبى ﷺ وتحت إشرافه وبمراجعته ، وكان يطلب من الكاتب أن يتلو عليه نص ما كتبه كما كان يطلب من غيره أن يتلوه للتأكد من صحة وصواب الكتابة[1] . وهكذا اجتمع لضمان صحة نصوص القرآن الكريم أكثر من سبب قوىٍّ : الحفظ فى ذاكرة الرجال العدول ، وتدوين نصوص القرآن الكريم أولا بأول كتابة بأقلام الكتاب العدول ، ولذلك كان جمع نصوص القرآن الكريم كاملا عملية سهلة ميسورة سواء فى عهد أبى بكر الصديق أو فى عهد عثمان بن عفان . إن القرآن الكريم لا يثير أى مشاكل تتعلق بصحة نصوصه على أى نحو جاد يرتكز إلى الحقائق وحدها .

(١) ولقد انكشف أمر ذلك الذى حاول أن يغير بعض الألفاظ عند كتابتها فى القرآن الكريم ، وفشلت محاولته إذا انكشفت بطبيعة الحال ، وأهدر النبى ﷺ دمه عند فتح مكة . (المترجم) .

إن القرآن الكريم – وقد كان نزوله من عند الله تاليا من الناحية الزمنية للكتابين السابقين عليه فى الظهور بين الناس باعتبار أن كلا منهما يحوى كلام الله ، وهما : التوراة والإنجيل – يتمتع بميزتين هامتين هما خُلُوُّه التام من التناقض بأى حال من الأحوال ، والتناقض هو الآفة التى أصابت روايات التوراة والأناجيل بما لا يدع مجالا للشك ، وكذلك تمتاز نصوص القرآن الكريم بالاتساق وعدم التعارض مع حقائق العلم الحديث التى تم الكشف عنها فى العصر الحديث فحسب ، ولم تكن هذه الحقائق العلمية التى جاءت معطيات القرآن الكريم فى بعض الموضوعات متسقة معها غير معارضة لها معروفة للناس فى زمان نزول نصوص القرآن الكريم مما يقطع بمصداقية القرآن الكريم وبأنه وَحْىٌ إلهى صادق أنزله الله إلى نبى الإسلام ﷺ ليبلغه إلى الناس كافة . ولذلك نجد أن بعض المعارف العلمية الحديث قد سمحت لنا بالوصول إلى التفسير الصحيح لبعض الآيات التى لم يكتمل تفسيرها تفسيرا صحيحا متاحا قبل امتلاك الناس لبعض المعارف العلمية فى العصر الحديث .

وإجراء مقارنة بين كثير من روايات التوراة لأحداث ووقائع مُعيَّنة مع روايات نفس الموضوعات والأحداث والوقائع فى القرآن الكريم تُظْهِر لنا بوضوح الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علميا ولا منطقيا وبين رواية القرآن الكريم لنفس الموضوعات رواية تتفق مع النظرة العلمية وتتسق مع المعقولية دون إعطاء أى تفصيلات يمكن دحضها وإثبات أى تناقض فيها بعكس التوراة التى تعطى تفصيلات كثيرة غير صحيحة وغير معقولة وغير مقبولة .

ولقد رأينا أمثلة لذلك على صفحات هذا الكتاب مثل روايات بدء خلق العالم ، ورواية الطوفان فى كل من نصوص التوراة ونصوص القرآن ، مما يدحض كل ادعاء جزافى عن نَقْلِ محمد ﷺ للتوراة لتأليف القرآن ، وكأن القرآن من تأليف محمد ﷺ ، عَمَدَ فيه إلى تقليد التوراة والأناجيل .

ونجد فى خاتمة المطاف أن خُلُوَّ نصوص القرآن الكريم من التناقض مع معطيات وحقائق العلم الحديث فيما تعرضت له بعض نصوص القرآن الكريم من حقائق متصلة بموضوعات علمية مع وجود احتمالات ووجود حالات للتعارض بين محتوى بعض الأحاديث المنسوبة إلى النبى مع بعض حقائق ومعطيات العلوم الحديثة فى غير موضوعات العقيدة والشريعة يحمل دلالة قطعية أخرى على أن «مصدر» نصوص القرآن الكريم و«مصدر» نصوص الأحاديث النبوية الشريفة ليس «مصدرا واحدا» بل إن مصدر نصوص القرآن الكريم هو الله سبحانه وتعالى أوحاها إلى النبى محمد ﷺ ووصلت إلينا بكل دقة وتمام وصحة وكمال ، بينما نصوص الأحاديث النبوية الشريفة مصدرها هو أقوال وتصرفات النبى محمد ﷺ شخصيا كنبى إنسان من البشر ، أو مصدرها الآخر هو أقوال وروايات نسبت إليه زورا لأغراض دنيوية متعددة وهى الأحاديث الموضوعة والمدسومة والضعيفة ، وهى إن دلت – مع تزييفها وضعفها وتناقضها مع معطيات العلم الحديث – على شىء فهى تدل

على أن كلام الله لا تناقض فيه ولا خطأ أما كلام البشر فهو عرضة للتناقض والخطأ حتى لو كان الكلام منسوبا إلى خاتم الأنبياء والمرسلين إلى كل البشر ، كما يدل احتمال الخطأ والتناقض فى بعض الأحاديث إلى المفاهيم العلمية الخاطئة التى كانت تشيع خطأ بين الناس فى العصور الوسطى تسربت إلى بعض الأحاديث وحاول مروجوها نسبتها إلى نبى الإسلام لتكتسب ما تفتقده من قوة إقناع . والفرق واضح بين مصداقية القرآن وتذبذب مثل هذه الأحاديث بين الصدق والاتساق ، وبين التناقض مع حقائق العلم دون تلاق . مما يقطع بانعدام شيوع الأصل بين القرآن والأحاديث المنسوبة إلى النبى ﷺ ، فليس مصدرها واحدا بأى حال من الأحوال .

ومن غير المعقول أن يتصور إنسان أن كثيرا من حقائق العلم التى لم تكتشف إلا فى العصر الحديث التى تضمنتها نصوص القرآن كانت من تأليف بَشَرٍ وذلك بسبب حالة المعارف والعلوم الطبيعية فى عصر محمد ﷺ . ولذلك فمن الصواب المشروع تماما أن ينظر إلى القرآن الكريم باعتبار أنه حَقًّا وصِدْقًا «تعبير الوحى من الله» أنزله إلى نبى الإسلام ﷺ ، ومن الطبيعى أن تُعْطَى له على هذا الأساس مكانة خاصة جدا حيث إن مصداقيته أمْرٌ لا يمكن الشك فيه، واحتواؤه على كثير من الحقائق العلمية التى لم تتوصل إليها البشرية إلا فى عصرنا الحديث دليل على مصداقية القرآن الكريم باعتباره وحيا إلهيا صادقا وصل إلينا صحيحا دون أى تحريف ، ويستحيل أن يكون من تأليف أو إنشاء أو صياغة بشرية من الناس بأى حال من الأحوال . وإنها لعقيمة حقا ، ومجافية للمعايير الإنسانية السليمة أن يحاول أحد الإيهام بأن القرآن الكريم من تأليف بشر .

(تم بحمد الله)